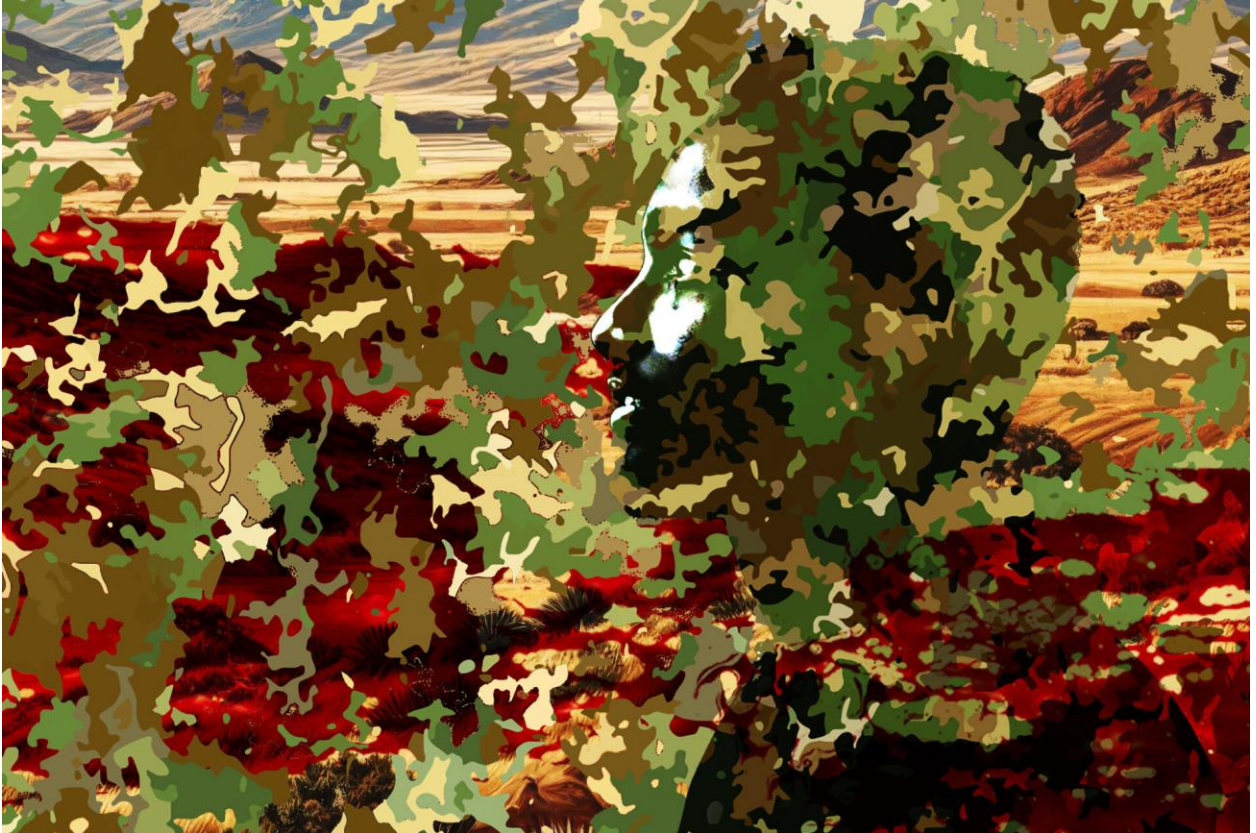


في حرب الظل المتعثرة ضد حركة الشباب المجاهدين في الصومال،
يصبح المجندون ضحايا على أرض المعركة وخارجها



أجرت مجلة نيو لاينز الأمريكية، مقابلة مع أحد الناجين من القوات المسلحة الصومالية الذي تحول إلى مُبلغ عن المخالفات والذي شارك في تدريب سري ونجا من هجوم لحركة الشباب المجاهدين أسفر عن مقتل أكثر من 100 جندي حكومي؛ ثم تم إخفاء الهجوم عن الجمهور. تقدم هذه المقالة لمحة عن الطبيعة المعقدة للصراع الدائر في الصومال، وتسلط الضوء على الافتقار إلى الشفافية في الحرب والتهديد المستمر للهجمات القاتلة التي تشنها حركة الشباب المجاهدين ضد القوات الحكومية. تم تغيير اسم المبلغ عن المخالفات لحماية هويته.

كانت الشمس حارقة في العاصمة الصومالية مقديشو بينما اصطفت السيارات على تقاطع مزدحم للمرور عبر نقطة تفتيش أمنية. كانت الساعة 12:30 ظهراً وغادر المصلون المسجد المحلي بأعداد كبيرة بعد صلاة الظهر. لقد شقت طريقي على طريق بالقرب من تقاطع سانكا إلى حي سكني، حيث كان شارماركي حرسني ينتظرنني.

كان الشاب النحيف ذو الوجه الطفولي يبدو غير مؤذٍ. كان يجلس على كرسي بلاستيكي ينفث سيجارته ظهراً لظهره وكأنه كان يدخن منذ عقود، يحدق فيّ وأنا أسير في طريقه. كنت أعلم أنه كان يتوقعني.

جلست بجانبه، وتبع ذلك العادة الصومالية التقليدية المتمثلة في شرب الشاي. اقتربت منا امرأة، عرفت فيما بعد أنها شقيقته الصغرى، دون أن تتواصل معنا بالعين وسكبت لنا كوباً من الشاي قبل أن تعود إلى المنزل.

بعد أن تعرفنا، بدأ يشاركنا تجاربه كجندي، سواء في الصومال على خط المواجهة ضد الشباب أو في إريتريا، حيث خضع لمحنة مروعة كجزء من برنامج تدريبي سري.

كان حرسى، وهو الأكبر بين ستة أطفال، يقود عربة "باجاج" ("عربة ريكشا") في أواخر سنوات مراهقته لإعالة والديه وإخوته. ولكن بعد عامين، وفي سن العشرين، علق حرسى المفاتيح. كان الأجر منخفضاً، وكانت قوات الأمن تقتل سائقي عربات الريكشا بانتظام، كما أخبرني.

في يونيو 2020، سمع حرسى أن المجندين الجدد في الجيش سيتم إرسالهم إلى قطر لتلقي التدريب العسكري المناسب.

قال: "بدا الأمر وكأنه فرصة جيدة، حيث يمكنني كسب ما يكفي من المال لدعم أسرتي وخدمة بلدي في نفس الوقت". ومع ذلك، في الأيام والأسابيع التي تلت ذلك، اكتشف حرسى أن لا شيء كان كما توقع عندما التحق بالجيش.

سرعان ما وجد نفسه في مقر وكالة الاستخبارات والأمن الوطني (NISA) في مقديشو مع زعيم عشيرته.

قال حرسى: "دفعت 50 دولارًا لزعيم عشيرتي من عشيرتي ليضمني ويتحمل المسؤولية إذا حدث أي خطأ. دفع آخرون ما يصل إلى 100 دولار". وهذا في حد ذاته مبلغ ضخم بالنسبة للشخص العادي في البلد الذي مزقته الحرب. وفقاً للنتائج المنشورة في تقرير صادر عام 2023 عن المكتب الوطني للإحصاء في الصومال، يعيش أكثر من نصف سكان البلاد (54٪) تحت خط الفقر، على حوالي 2 دولار في اليوم.

وفقاً للعادات الصومالية التي تسمى حير "xeer" ، يعمل شيوخ العشائر كوسطاء ومحكمين. يلعبون دوراً محورياً في حل القضايا العشائرية المحلية والداخلية ويؤمنون الفرص لأعضاء العشيرة، مثل اختيار المشرع الذي سيمثل عشيرتهم في البرلمان. قد يؤمن الشيوخ أيضاً وظائف في الحكومة أو أجهزة الأمن لأعضاء الشباب من عشيرتهم. في الأساس، هم صناع القرار؛ لا يحدث أي شيء رسمي دون موافقتهم.

في المجتمع الصومالي المعاصر، يحتاج الشخص الذي يحصل على وظيفة حكومية أو ينضم إلى القوات المسلحة إلى موافقة شيخ العشيرة ("damaanad") ، الذي يؤكد أن الشخص من عشيرته (وجزء من دائرته الانتخابية). إذا حدث أي خطأ، فسيتم تحميل الشيخ المسؤولية. احتاج حرسى إلى هذه الموافقة ليتم قبوله لما اعتقد هو وشيخ عشيرته أنه سيكون تدريباً عسكرياً سهلته الحكومة الصومالية في قطر.

لقد أصبح التعهد من قبل شيوخ العشائر ممارسة شائعة في البلاد، التي تفتقر إلى المؤسسات والوكالات الحكومية القادرة على فحص الأفراد.

لقد انخرطت الصومال في حرب أهلية لمدة 33 عاماً. تشن حركة الشباب المجاهدين، وهي جماعة مسلحة تابعة لتنظيم القاعدة، تمرداً منذ 18 عاماً في محاولة للإطاحة بالحكومة المدعومة من الغرب في مقديشو. يسيطر المتمردون الإسلاميون على مساحات شاسعة من الأراضي في جميع أنحاء المناطق الريفية في الصومال.

قال حرسى: "في ذلك الوقت، التقط عملاء وكالة الاستخبارات والأمن القومي صورتي وسجلوني. كان مقر وكالة الاستخبارات والأمن القومي مليئاً بضباط استخبارات بملابس مدنية أشرفوا على عملية التجنيد. اكتشفت لاحقاً أن عملية التجنيد السرية بدأت لأول مرة في أغسطس 2019."

قابل حرسى العديد من الشباب في سنه في طوابير انتظاراً للتسجيل والتقاط صور لما توقعوا أنه سيكون تدريباً عسكرياً في قطر. والتقى بمجندين جدد من جميع أنحاء الأراضي الصومالية، بما في ذلك هرجيسا وغالكايو وجيجيغا في منطقة أوغادين.

وبعد ذلك، تم نقل حرسى والمجندين إلى معسكر شيربو الذي تديره وكالة الاستخبارات والأمن القومي، والذي يقع بجوار مقر الوكالة، حيث تم احتجازهم لمدة أسبوعين. وقال حرسى إن المعسكر كان يحتوي أيضاً على غرف تستخدم كمكاتب لعملاء وكالة الاستخبارات والأمن القومي.

"وتم نقل المجندين إلى معسكر شيربو الذي تديره وكالة الاستخبارات والأمن القومي، والذي يقع بجوار مقر الوكالة، حيث تم احتجازهم لمدة أسبوعين. كما كانت هناك غرف في المعسكر تستخدم كمكاتب من قبل عملاء وكالة الاستخبارات والأمن القومي، كما قال حرسى.

وقال: "خلال فترة وجودنا في المعسكر، لم نكن نتلقى سوى الطعام مرتين في اليوم ولم يُسمح لنا حتى بالاستحمام". ومع تقدم الأيام، بدأ حرسى والآخرون يشعرون بالقلق والإحباط. اعتقد بعض المتدربين، مثل حرسى، أنهم سيُنقلون جواً إلى قطر، بينما اعتقد آخرون أنهم هناك للتدريب كضباط استخبارات بملابس مدنية في مقديشو.

وقال حرسى: "شعرنا وكأننا سجناء بدلاً من متدربين مع مرور الأيام". وبعد عشرة أيام، حاولوا التمرد؛ لكن عملاء وكالة الاستخبارات والأمن القومي قمعوهم على الفور.

وقال: "بدأ عملاء وكالة الاستخبارات والأمن القومي بضرب العديد من المتدربين وأبلغونا أن أي شخص يحاول الهرب سيُقتل". وقد أثار هذا اللقاء الخوف في قلوب العديد من الطلاب، وبعد ذلك لم يجرؤ أحد على المقاومة أو إظهار أي شكل من أشكال المعارضة أثناء احتجازهم من قبل وكالة الاستخبارات والأمن القومي، كما قال حرسى لنيو لاينز.

بعد أسبوعين، وصلت الحافلات إلى معسكر شيربو لنقل الطلاب إلى مطار مقديشو الدولي، حيث صعدوا على متن طائرة وانطلقوا في منتصف الليل. وسرعان ما اكتشفوا أن محنتهم قد بدأت للتو.

وكان حرسى وآخرون يتوقعون الوصول إلى قطر، ولكنهم فوجئوا بأنهم في إريتريا.

لقد عانت إريتريا، الواقعة على البحر الأحمر في القرن الأفريقي، من العزلة والعقوبات لعقود من الزمان. وقد حول حكم الرجل الواحد إحدى أصغر دول أفريقيا سناً إلى دولة منبوذة. وتحظر منظمات حقوق الإنسان ووسائل الإعلام الدولية، وغالباً ما يشار إلى البلاد بأنها كوريا الشمالية في أفريقيا. ويجد سكانها البالغ عددهم 6 ملايين نسمة أنفسهم يعيشون في وضع أشبه بسجن في الهواء الطلق حيث لا وجود لحرية التعبير والمعارضة محظورة. في كثير من الأحيان لا يتعلم الغرباء عن الحياة في إريتريا إلا من المحظوظين الذين تمكنوا من الفرار من البلاد.

قال حرسى وهو يدخل سجائره: "كان أول مكان وصلنا إليه معسكر تدريب في جرجيرا. كانت المنطقة عبارة عن أرض جبلية تشبه الصحراء، وكل ما رأيناه كان أفراداً عسكريين إريتريين في كل مكان. شعرت بالحزن الشديد. عندها أدركت أننا تعرضنا للخداع."

عند دخول معسكر التدريب في جرجيرا، تم إعطاء كل من المتدربين الصوماليين قطعة خبز وحساء، ثم تم حشرهم داخل المعسكر. وما تلا ذلك كان 18 شهراً من التدريب العسكري القاسي المستمر.

تستضيف جرجيرا، وهي بلدة تقع في منطقة ديبوب في إريتريا على بعد حوالي 40 ميلاً من العاصمة أسمرة، معسكر تدريب عسكري للمتدربين وثقت فيه جماعات حقوق الإنسان الدولية الانتهاكات على مر السنين. وعندما ارتكب الطلاب أخطاء أو خرجوا عن الخط، كانوا يواجهون في كثير من الأحيان عقوبات شديدة، بما في ذلك حلاقة الرأس، والضرب بالبنادق، والمشى حفاة في الحرارة الشديدة مع كيس من الرمل على ظهورهم،

وتساق تلة بارنفاع مبنى من خمسة طوابق بشكل متكرر. وقال حرسى لنيو لاينز إن العديد من الطلاب أصيبوا بالشلل النصفى.

تؤكد تجربة حرسى تقرير مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة لعام 2023 بشأن الناجين من التجنيد العسكرى فى إريتريا، والذي ينص على أن الطلاب العسكريين يتعرضون لمعاملة غير إنسانية ومهينة بسبب العصيان أو الأخطاء. بعد ثمانية أشهر، وبسبب إحباطهم من التدريب القاسى والحرمان من الخدمات الصحية، قام حرسى وزملاؤه الصوماليون بتمرد ضد القادة العسكريين الإريتريين. ومثله كمثل تمرد معسكر شيربو، كان قصير الأمد.

"كان هناك حوالي 5000 منا فى جرجيرا خلال تلك الأشهر الثمانية عشر. توفى العشرات بسبب حرمانهم من الرعاية الطبية بعد معاناتهم من الانتهاكات والتعذيب أثناء التدريب العسكرى"، قال حرسى.

بعد فترة الثمانية عشر شهراً فى جرجيرا، تم نقل حرسى وزملائه من الطلاب إلى معسكر تدريب عسكرى آخر فى بلدة ويا. تقع ويا على بعد 21 ميلاً من ميناء مصوع الاستراتيجى، وهى واحدة من أكثر الأماكن حرارة فى إريتريا، حيث تصل درجات الحرارة إلى 113 درجة.

قال حرسى: "لم تكن جرجيرا شيئاً مقارنة بويا. كانت الحرارة لا تطاق وكانت الانتهاكات أكثر وحشية". "لم تكن هناك وجبات مناسبة. كل 12 ساعة كنا نحصل على الماء. كان

التدريب مؤلماً للغاية وكان أولئك [الطلاب الصوماليون] الذين حاولوا الفرار يتعرضون للتعذيب، وفي بعض الحالات، يتم نقلهم بعيداً، ولم نرهم مرة أخرى."

بينما كان ينطق بهذه الكلمات، استمرت الرياح في حمل الغبار في طريقنا والكلاب الضالة تمر بجانبنا. كان الجنود متمركزين عند نقطة تفتيش قريبة. وعلى الرغم من كل هذا، ظل حرسنا هادئاً.

في البداية، تساءلت كيف يمكن أن يحدث هذا. لم يكن حرسنا مذعوراً أو عاطفياً، على الأقل ليس بعد. ولكن مع استمرار محادثتنا، اكتشفت أن التجارب التي ذكرها حتى الآن لم تكن شيئاً مقارنة بما سيكشفه لاحقاً.

أبلغ الطلاب الصوماليون القادة الإريتريين أنهم يريدون التحدث مع الحكومة الصومالية.

قال حرسنا: "كان لدينا مجموعة من القوات الصومالية في صفوفنا نتحدث الأمهرية، وبعض القوات الإريتيرية نتحدثها أيضاً. بهذه الطريقة أوصلنا رسالتنا". لكن جهودهم باءت بالفشل

"لقد سمعنا أصوات محركات المركبات تهدر في المسافة"، قال حرسنا. "دخلت مركبتان عسكريتان إلى أراضي المعسكر العسكري في ويا وبدأت مجموعة من الجنود في إطلاق النار علينا دون تمييز باستخدام بنادق AK-47."

قال حرسى إنه بمجرد انقشاع الدخان، سقط 14 طالباً عسكرياً صومالياً مقتولين في بركة من الدماء وأصيب 21 آخرون. "أتذكر ذلك بوضوح شديد. كان ذلك في 9 نوفمبر 2021. عندما أكون بمفردي وأفكر في الأمر، أبكي أحياناً. لم يكن لديهم أي اعتبار".

حاولت نيو لاينز الحصول على رد من وزارة الإعلام الإريترية بشأن مذبحة وإصابة الطلاب العسكريين الصوماليين في ويا لكنها لم تتلق أي رد.

وتابع حرسى قائلاً: "كان أحد المسؤولين العسكريين الإريتريين المعروفين باسم العقيد جمال هو الذي أعطى الأمر باستدعاء المركبات العسكرية قبل بدء إطلاق النار عندما بدأنا التمرد. وكان هو أيضاً من أشرف على تدريبنا في ويا."

وتتوافق كشوفات حرسى مع نتائج لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة بشأن حقوق الإنسان، التي نُشرت في عام 2016، والتي تنص على أن الطلاب العسكريين في إريتريا يعاقبون على المعارضة، وغالباً بعنف، ويحرم معظمهم من العلاج الطبي.

وقال حرسى: "بعد المذبحة، تم القبض على المحظوظين الذين لم يصابوا بنيران الأسلحة النارية وضربهم". "لقد أدى الضرب الذي تلقينته في ذلك اليوم على أيدي المدربين العسكريين الإريتريين إلى سعال الدم بلا توقف لمدة 28 يوماً متتالياً. لم أستطع حتى رؤية بصاقي بسبب الدم الهائل الذي كنت أسعله. اعتقدت أنني أصبت بالسل نتيجة للضرب الوحشي الذي تلقينته على أيدي الجنود الإريتريين. لقد ضربوني مراراً وتكراراً بالمعدن."

كانت صحة حرسى سيئة للغاية لدرجة أنه تم علاجه في منشأة طبية تسمى كيلي أمهرة.

في ديسمبر 2022، عادت الدفعة الأولى من القوات الصومالية المدربة في إريتريا، بما في ذلك حرسى، إلى الصومال. تم تقسيمهم إلى ألوية وكتائب ووحدات، وتم نقلهم بالحافلة في مجموعات من 300 إلى مهبط للطائرات في مدينة عصب الساحلية. قال: "لم يكن مهبط الطائرات في عصب يبدو كمهبط طائرات عادي. بدا وكأنه مهبط عسكري."

مرة أخرى، اتصلت نيو لاينز بوزارة الإعلام الإريترية لكنها لم تتلق أي رد على الأسئلة حول معاملة الطلاب الصوماليين في إريتريا.

تم إرسال الموجة الأولى من القوات الصومالية المدربة في إريتريا إلى مركز تدريب الجنرال جوردون، في منطقة هدن بمقديشو. وعلى افتراض أنه سيكون قادراً على إعادة الاتصال بعائلته بعد انفصال دام عامين، تحطمت آمال حرسى مرة أخرى. "حاولت القوات الحذرة والمحبطة الفرار، لكن حرسى والعديد من الآخرين مُنعوا من القيام بذلك.

قال حرسى: "بقينا في الجنرال جوردون لمدة شهر. ثم زودتنا الحكومة بالعتاد والأسلحة المناسبة، ثم تم دفعنا إلى خط المواجهة في منطقة شبيلي الوسطى المجاورة".

خلال هذه الفترة، كانت حكومة الصومال تقود هجوماً كاملاً ضد الشباب في ولايتي هيرشبيلي وجالمودوج. كانت الحكومة تستنفد الموارد والقوى العاملة في محاولة للقضاء على الجماعة.

ولد حرسى ونشأ في العاصمة المضطربة مقديشو، وقد خاض نصيبه العادل من تجارب الاقتراب من الموت، لكنها لم تكن شيئاً مقارنة بما شهده في الريف، حيث غالباً ما تكون قواعد الاشتباك غير موجودة.

"لقد تم إرسالنا أولاً إلى بلدتي الكوثر ورونيرجود في منطقة شبيلي الوسطى المجاورة لمقديشو، حيث انخرطنا في اشتباكات عنيفة مع الشباب للسيطرة على هذه البلدات"، قال حرسى. "كانت هذه هي المرة الأولى التي أتمكن فيها من استخدام القتال الذي تعلمته في إريتريا. اشتباك تلو الآخر، كنت أشعر بالخدر تجاه الموت من حولي. هذا ما تفعله الحرب بالناس."

سرعان ما وجد حرسى نفسه يتعمق في قلب الشباب.

تمكنت قوات الحكومة الصومالية من عبور منطقة شبيلي الوسطى وتقدمت إلى الأجزاء الشرقية من منطقة جالمدود - وهي المنطقة التي كانت معقلاً للشباب لأكثر من عقد من الزمان.

"كانت منطقة جلودود الشرقية أرضاً مسطحة. لم تكن هناك جبال. كان غطاء الأشجار محدوداً لأن الجفاف المتكرر دمر المنطقة. كانت مجرد أراضٍ عشبية قاحلة فارغة وجافة"، روى حرسى. "لذا عندما واجهنا الشباب، لم يكن لدينا مكان للاختباء. كان الأمر إما أن نقتل أو نُقتل."

لقد حققوا مكاسب في البداية، ولكن مثل القوات الأخرى التي تقاتل نيابة عن الحكومة، سرعان ما وجد حرسى أن هذه المكاسب مؤقتة.

لقد هجر السكان المحليون كل بلدة أو قرية وصلوا إليها تقريباً. وفي أغلب الأحيان، فر المدنيون قبل وصول القوات الحكومية وبحثوا عن ملاذ آمن مع الشباب.

في السنوات التي أعقبت صعود الشباب إلى السلطة، تطورت الجماعة المسلحة من حركة متمردة إلى حكومة موازية. لقد أنشأ الإسلاميون دولة بحكم الأمر الواقع داخل حدود الصومال تتفوق على الحكومة الرسمية في نواح عديدة. ويشمل هذا توفير البنية الأساسية الأساسية والأمن ونظام قضائي فعال للمدنيين تحت حكمهم - وهي جميع الخدمات التي لم تضعها الحكومة الصومالية بالكامل بعد على الرغم من المليارات من الدولارات التي تلقتها من المجتمع الدولي.

ببساطة، تمكنت الشباب من كسب القلوب والعقول من خلال حشد الدعم الشعبي من المجتمعات في المناطق التي تسيطر عليها، حيث تنتقل في المجتمع الصومالي المعقد القائم على العشائر، وتملاً الفراغ الذي خلفته الحكومة مع تجنب الفساد. وعلى

النقيض من ذلك، صنفت منظمة الشفافية الدولية الحكومة الصومالية باعتبارها الأكثر فساداً في العالم على مدى السنوات الثماني عشرة الماضية.

وقال حرسى: "مع استمرار الصراع، بدأت أتساءل عما إذا كانت هذه حرب تحرير أم استمراراً لدورة العنف التي لا تنتهي في البلاد".

على مدى ثلاثة عقود من الحرب، حملت الجماعات المتمردة السلاح ضد الدولة، مما أدى إلى انهيارها الكامل وصعود أمراء الحرب. ولكن في عام 2011، فشلت مهمة "حفظ السلام" التابعة للأمم المتحدة التي كان من المفترض أن تنقذ الأرواح وتهدئ الفصائل المتحاربة. وفي السنوات التي تلت ذلك، أطلقت الولايات المتحدة "حربها العالمية على الإرهاب" على الأراضي الصومالية، مما أشعل شرارة التدخلات العسكرية الأجنبية المتتالية. ولم ير معظم الشباب الصومالي، بما في ذلك حرسى، السلام قط.

بعد أن مر حرسى ورفاقه عبر العديد من القرى ولم يجدوا أي علامة على الحياة المدنية، شقت القوات طريقها إلى شرق جلودود، حيث كانت حركة الشباب أكثر رسوخاً.

بعد رحلة استمرت يوماً كاملاً عبر سهول وسط الصومال، وصل حرسى وزملاؤه من المتدربين في إريتريا إلى ماساجاوا، وهي بلدة في جلودود، حوالي الساعة 8 مساءً. أقام حوالي 100 جندي، بما في ذلك حرسى، مواقع دفاعية في مقدمة المعسكر العسكري، ومرت الليالي الثلاث الأولى دون وقوع حوادث. تغيرت الأمور في الليلة الرابعة.

قال حرسى: "بدأنا [الجنود] نشعر بالشك الشديد، وهنا بدأ الخوف يتسلل إلينا". "ومن خلال القليل المتبقي من المدنيين المحليين، بدأنا نتلقى أنباء تفيد بأن مقاتلي الشباب كانوا قريبين ويترصدون بموقعنا."

واعتبرت القوات هذا بمثابة تحذير صارم، وكان رؤسائهم على خط المواجهة قادرين على استشعار ذلك. وفي محاولة لتعزيز الروح المعنوية، حشد أحد القادة العسكريين القوات في ماساجوا بخطاب تحفيزي حول الحاجة إلى البقاء مجتهدين ومتيقظين في مثل هذه البيئة المعادية.

وقال حرسى: "لقد كان بإمكانه أن يشعر بخوفنا ولم يكن لديه خيار سوى حثنا، ولكن في نهاية المطاف اكتشفنا أن هذه الكلمات لن تكون كافية."

في حوالي الساعة الرابعة صباحاً في اليوم الخامس، فاجأ صوت انفجار كبير تلاه رشقات نارية على محيط المعسكر العسكري القوات. وفي الليل الحالك، لم يكن كل ما يمكن أن يراه حرسى والجنود هو الصواريخ والومضات بينما كان صوت إطلاق النار يمزق الهواء. حاولوا الاحتفاظ بمواقعهم لكن الشباب تغلبوا عليهم ببطء وتفوقوا عليهم بالسلاح.

فرّ حرسى مع مجموعة من الجنود وركض جنوب المعسكر العسكري إلى حقل من الشجيرات. وبينما كانوا يفرون، هاجمت حركة الشباب المعسكر العسكري.

وقال: "اختبأنا هناك حتى وصلت التعزيزات، ولكن بحلول ذلك الوقت كان الأوان قد فات. فقد اجتاح الشباب القاعدة واستولوا على كل شيء بداخلها. حتى أن بعض رفاقي وقعوا في الأسر أحياء. ولم أرهم منذ ذلك الحين."

وعندما وصلت التعزيزات في النهاية إلى المنطقة، انسحب مقاتلو حركة الشباب. ولكن الضرر كان قد وقع. ومن بين العشرات من الضحايا، فقدوا تسعة من قادة الوحدات. وتم نقل الجنود الجرحى وأولئك الذين نجوا سالمين، مثل حرسى، إلى مقديشو وأعطوا إجازة لمدة شهر. ورأى حرسى عائلته لأول مرة منذ نقله إلى إريتريا، لكن ارتياحه لم يدم طويلاً.

بعد فترة الراحة التي دامت شهراً، عاد حرسى إلى خط المواجهة في بلدة رونيرجود الاستراتيجية. وهذه المرة، اتخذت الأمور منعطفاً مأساوياً نحو الأسوأ. منذ بدأت الحكومة الصومالية هجومها العسكري في خريف عام 2022، انتقلت يد رونيرجود في مناسبات عديدة، حيث لعبت الحكومة والشباب لعبة شد الحبل للسيطرة على المدينة.

وقال حرسى: "من هناك [رونيرجود]، قاتلنا جنباً إلى جنب مع الميليشيات القبلية الموالية للحكومة ضد الشباب في معارك ضارية."

بعد أن غادرت وحدته رونيرجود، شقت طريقها إلى عوسويني، وهي بلدة صغيرة ولكنها استراتيجية في منطقة جالجدود المجاورة التي كانت تحت حكم الشباب لأكثر من 15 عاماً. توغّلوا في عمق أرض لا أحد فيها، وهي العبارة التي يستخدمها حرسى لوصف مكان ريفي مهجور لم يغامر به سوى قلة من الناس. في منطقة مليئة بالرصاص وقليلة

السكان، تظل حركة الشباب في المسافة، ونادراً ما تتبع الأطراف المتحاربة قواعد الاشتباك، إن وجدت.

"كانت الرحلة وعرة. كنا نسافر على طرق لم يتم تجديدها منذ عقود"، كما قال. "كانت الألغام الأرضية والعبوات الناسفة سبباً آخر للقلق. كانت الشجيرات في المراعي تحيط بنا وكانت الحياة المدنية نادرة. كانت المنطقة قد دمرتها صراعات سابقة".

"لقد كانت هناك موجات من الجفاف والقوات الحكومية المتقدمة، والتي كانت تشمل الآن قافلتنا. ومع تقدمنا في رحلتنا، بدأت أمسك ببنديتي أكثر. لم نر أحداً في المسافة البعيدة بينما كنا نسرع عبر الريف، لكنني كنت أعلم أنهم [الشباب] يمكنهم رؤيتنا."

لقد تحققت مخاوف حرسى عندما تعرض القافلة العسكرية لكمين. قُتل العديد من رفاق حرسى في الهجوم.

عندما وصلوا إلى عوسويني، كانت قوات حكومية أخرى متمركزة في المعسكر العسكري المؤقت، بما في ذلك القوات التي تم تدريبها في تركيا وأوغندا.

"لكن عندما استقررنا في المعسكر العسكري، أدركنا أن أيّاً من المركبات العسكرية وعربات القتال لم يكن بها وقود. حتى قطرة وقود"، قال حرسى. "أدى هذا إلى الإحباط والغضب الصريح تجاهنا [القوات] وقادتنا. ولجعل الأمور أسوأ، كانت القوات تعاني من نقص الإمدادات، بما في ذلك الذخيرة."

في عمق معقل الشباب، كان الخوف يسيطر على الجنود الذين تدربوا على القتال.

لقد فر معظم المدنيين من البلدة بعد الاستيلاء عليها لفترة وجيزة من قبل القوات الحكومية قبل أربعة أيام فقط، بحثاً عن ملجأ في أعماق الأدغال مع مقاتلي الشباب الذين انسحبوا - وهو تذكير آخر بمدى ترسخ الشباب داخل شرائح كبيرة من المجتمع الصومالي.

قال حرسى: "لقد ساءت مخزوناتنا من الإمدادات بسبب حقيقة أن الحياة المدنية في البلدة كانت معدومة تقريباً. لذلك لم نتمكن من شراء أي شيء من أي شخص حتى لو أردنا ذلك". "كل ما تبقى من علامات الحياة المدنية في البلدة قوبل بالعداء الشديد وعدم الثقة من الجنود لأننا لم نكن نعرف من هو ومن ليس من الشباب."

قال حرسى إنه ورفاقه لم يتمكنوا حتى من الثقة في المدنيين بما يكفي لقبول المياه التي يحتاجون إليها بشدة منهم عندما عرضوا عليهم ذلك. وقال إنه من المستحيل معرفة المدنيين الذين قد ينفذون إرادة الشباب.

في اليوم السابق للهجوم على عوسويني، بدأت القوات تشعر بالقلق وانخفضت معنوياتهم. ثم قام الجنود بتمرد بسبب الظروف المروعة التي وجدوا أنفسهم فيها.

"كيف يمكنك إرسال هذا العدد الكبير من القوات إلى منطقة محاطة بالشباب دون إمدادات مناسبة من الطعام والوقود والضروريات الأساسية اللازمة لتحمل الانتشار على خط المواجهة؟" سألني حرسى.

حاول قائد مشهور يدعى مختار حسن تيفو، والمعروف باسم "شاه ماكابي"، تهدئة القوات المتمردة بالقول إن الإمدادات والوقود في طريقها.

"حاول شاه ماكابي رفع معنوياتنا وتهدئتنا. كان يخبرنا باستمرار أن نبقى أقوياء (نفسياً)، وأن نبقى ثابتين. في ذلك الوقت، لم أكن أعرف أن هذه ستكون المرة الأخيرة التي سأراه فيها". وبينما كان يروي لي هذه القصة، بدأ حرسى في البكاء بشكل لا يمكن السيطرة عليه. ربتت على ظهره وكتفه لتهدئته، لكن دون جدوى. استمر في البكاء. كانت الدموع تنهمر على وجهه، وكانت عيناه تتجولان حوله وهو جالس.

ألقي بعض المتفرجين نظرة خاطفة على طريقنا وهم يمرون بجانبنا، ربما يتساءلون لماذا كان هذا الشاب يبكي بشدة أو لماذا كنت أربت على ظهره باستمرار. بعض الذكريات، مهما كانت صعبة، تبقى معك إلى الأبد، وحرسى دليل حي على ذلك. لقد هدأ من روعه واستمر.

كان شاه مكابي قائد وحدة عسكرية صومالية نخبوية تُعرف باسم عمر بن خطاب. كان معروفاً جيداً في الدوائر العسكرية والعامّة في البلاد.

لعب دوراً محورياً في الانتفاضة الشعبية المناهضة للحكومة في مقديشو في عام 2021، والتي يشار إليها عادةً باسم "بادبادو قران"، حيث حملت الجماهير، جنباً إلى جنب مع الوحدات العسكرية، السلاح ضد الحكومة، مما أجبر الرئيس آنذاك محمد عبد الله فرماجو على سحب قراره بتمديد فترة ولايته بشكل غير قانوني. ونتيجة لذلك، أصبح شاه مكابي اسماً مألوفاً في جميع أنحاء الصومال.

تدرب شاه ماكابي في أوغندا وجيبوتي وإثيوبيا، وشارك في جهود الحكومة الحالية ضد حركة الشباب التي بدأت في البداية في عام 2022. ومع ذلك، لم يُشاهد القائد منذ هجوم الشباب على عوسويني، ولا يزال مكانه الحالي غير معروف. وقد غطت وسائل الإعلام في البلاد اختفائه على نطاق واسع.

"بعد ذلك الخطاب التحفيزي، بعد الساعة السادسة صباحاً بقليل، ومع شروق الشمس، سمعنا إطلاق نار وانفجارات قادمة من جميع أركان المعسكر العسكري. سمعت أذناي صوت أربعة انفجارات متتالية. في بداية الهجوم لم نأكل أي شيء وكان الجميع محبطين، ولكن بمجرد بدء إطلاق النار والانفجارات، قاتل الجميع بكل ما لديهم،" قال حرسى.

ومع بدء الهجوم، حاولت القوات الصومالية صد الهجوم البري الضخم الذي شنته حركة الشباب، واستدعت تعزيزات في مناسبات عديدة، ولكن دون جدوى. وبدأت ذخيرتهم

تنفذ، ورغم أنهم قاتلوا بآخر رصاصاتهم، إلا أنهم لم يكونوا في نهاية المطاف نداءً لمقاتلي حركة الشباب.

وفي حالة من اليأس، ألقى حرسى ونحو عشرة من رفاقه بنادقهم في الشجيرات وبدأوا في خلع زيهم العسكري بينما كانت الرصاصات تنطلق بسرعة كبيرة أمامهم.

"خلعنا ملابسنا وارتدينا الساري الصومالي.

"أولئك الذين لم يرتدوا ملابس مدنية أو سترات واقية من الرصاص ارتدوا ببساطة قمصانهم الداخلية وسراويلهم الداخلية". ثم بدأت المجموعة في الفرار من القاعدة إلى الحقول، في محاولة يائسة للهروب من هجوم الشباب. ومع كل خطوة، كانوا يتعمقون أكثر في المنطقة المحرمة.

في مشهد يذكرنا بمشهد من فيلم هوليوود الناجح "وراء خطوط العدو"، حيث يطارد طيار من البحرية الأمريكية من قبل قوات شبه عسكرية صربية في براري البوسنة بعد إسقاط طائرته في أراضي العدو، وجد هؤلاء الجنود الصوماليون أنفسهم في أرض غير مألوفة وهم يحاولون التهرب من مقاتلي الشباب في عمق المناطق الريفية في الصومال في اللحظات التي أعقبت اجتياح قاعدتهم.

"شعرت بساقي تنهاران لكنني كنت أعلم أنني لا أستطيع التوقف عن الركض. اختبأنا في الشجيرات والحقول وأي شيء يمكن أن يوفر لنا غطاءً لإخفائنا". وبحلول ذلك الوقت،

استولى الشباب على القاعدة وأسروا أسرى الحرب، ووجد حرسى ورفاقه أنفسهم في بطن الوحش.

وقال حرسى: "تجنبنا أي بلدات أو مدنيين أثناء الاختباء والركض عبر الريف خوفاً من أن يتم رصدنا وإبلاغ السكان المحليين عن الشباب". "إذا رأينا ماشية في المسافة أثناء الاختباء في الشجيرات، فهذا يعني أن البدو المحليين كانوا قريبين، مما يعني أنه كان علينا الاستمرار في التحرك أو المخاطرة باكتشافنا". وجد الجنود أنفسهم يسيرون لمدة ست ساعات بدون طعام وماء. وعلى الرغم من انخفاض طاقتهم، إلا أن إرادتهم للبقاء على قيد الحياة أبقتهم مستمرين.

وقال حرسى: "رأينا مروحيات [حكومية] تحوم في الأعلى. لذلك كان علينا الاستمرار في الركض في عمق الريف لتجنب المروحيات خوفاً من إطلاق النار علينا لأننا كنا في منطقة ذات حضور قوي للشباب بينما كنا نرتدي ملابس مدنية ويمكن الخلط بيننا وبين الشباب". وأوضح أن من الأسرار المعروفة بين الجنود الصوماليين أن الطائرات العسكرية الأجنبية والحكومية نادراً ما تفرق بين المدنيين والشباب. ولم يكن حرسى ورفاقه يريدون أن يصيبهم نيران صديقة ويقتلوا على يد الحكومة ذاتها التي كانوا يخدمون فيها كجنود.

"أخذنا قسطاً من الراحة على شجرة، وكنت أغفو قبل أن يهزني أحد رفاقي لأظلم مستيقظاً. كنت مرهقاً ولم يكن هناك أي مساعدة في الأفق". لم يتمكنوا من الاستمرار في الاختباء لأنه كان من الممكن أن يكون الأمر مسألة وقت قبل أن يكتشفهم الشباب،

لذلك قام الجنود برحلة محفوفة بالمخاطر عبر التضاريس الوعرة لمحاولة لم شملهم بأي ناجين أو تعزيزات محتملة في المعسكر العسكري الصومالي في عوسويني.

"عدنا إلى المعسكر وكان كل شيء مدمراً ومشتعلًا. لكنني لم أستطع استيعاب ما رأيته بعد ذلك"، قال حرسني. "كانت ست مركبات عسكرية، بما في ذلك عربات قتالية، مفقودة." لقد اختفت نفس المركبات من اليوم السابق التي لم يكن بها وقود لاستخدامنا. عندها شعرت أن الشباب لديهم معرفة مسبقة بظروفنا. وعندما اجتاحوا قاعدتنا، لا بد أن يكون هناك مقاتلون مدمجون في صفوفهم يحملون الوقود للاستيلاء على المركبات وعربات المعركة".

إن رواية حرسني للأحداث التي توضح بالتفصيل قدرات استخبارات الشباب قبل الهجوم لا تشهد فقط على إهمال الحكومة ولكنها تُظهر أيضاً مدى تقدم الشباب، خاصة عندما يتعلق الأمر بتنفيذ هجمات معقدة كما شهدنا في عوسويني.

سلط تقرير صادر عن Africa Study Review في عام 2020 الضوء على القدرات المتفوقة التي يتمتع بها جناح استخبارات الشباب - المعروف باسم أمنيات - على نيسا الحكومي. وذكر التقرير أن الشباب يتفوقون على وكالة الاستخبارات الصومالية في مجالات الاستخبارات العسكرية وجمع المعلومات والتسلل.

"ثم التقطت بندقيتي الهجومية من نفس الشجيرات التي ألقيتها فيها في وقت سابق أثناء بدء الهجوم الأولي على المعسكر ثم ارتديت زيي العسكري المهمل. وفعلت نفس الشيء كل القوات الأخرى التي نجت واختبأت معي في الريف". وبينما كانت جثث القوات

الحكومية مبعثرة عبر ما تبقى من المعسكر العسكري ومحيطه، أمر القادة في مكان الحادث القوات بفصل الجرحى عن الجنود القتلى.

"لقد شعرت بالذهول في البداية. على الرغم من كوني جندياً متمرساً في المعارك، إلا أنني لم أكن مستعداً لرؤية هذا العدد الكبير من الرجال القتلى بالزي العسكري، بما في ذلك رفاقي الذين تعرفت عليهم أثناء التدريب في إريتريا. لم يعد عقلي سليماً منذ ذلك الحين. لا يوجد أي نوع من التدريب أو الخبرة القتالية لإعدادك لهذا"، قال حرسى.

أمرت القوات بحفر الخنادق ثم أقيت الجثث في القبور المؤقتة الضحلة.

"كنا نلقي جثث زملائنا من القوات الحكومية في الخنادق واحداً تلو الآخر بناءً على أوامر مباشرة من رؤسائنا، ثم يتم سكب التربة فوق الخنادق لإخفاء الجثث والمقابر المؤقتة. كان كل خندق يحتوي على جثث 10 جنود. وظللنا نفعل ذلك بلا توقف حتى الساعة العاشرة مساءً، بينما كانت المروحيات تحوم من الأعلى لتوفير الغطاء."

يقول حرسى إن سبب المروحيات هو أنه بعد إعادة تجميع القوات الحكومية في عوسويني في أعقاب الهجوم، كان الوضع لا يزال غير مستقر.

لقد كانوا لا يزالون في معقل الشباب، بعد كل شيء.

قال حرسى: "ما يؤلمني أكثر هو أن أياً من الجثث التي ألقيناها في الخنادق لم يتم دفنها على الطريقة الإسلامية اللائقة. لقد ألقيناها في هذه المقابر الجماعية المؤقتة وكأنها قمامة."

يعتقد حرسى أن المأساة التي وقعت في عوسويني لم تكن بسبب الإهمال، ولكن كان من الممكن منعها إذا تم اتخاذ الاحتياطات الصحيحة قبل نشر القوات في مثل هذه البيئة المعادية.

أخبرني حرسى: "حتى الجثث التي كانت لا تزال سليمة ومتناثرة عبر بقايا القاعدة لم يتم فحصها حتى لمعرفة نبضها". وقال إن ما يؤلمني أكثر هو أن هذه الأوامر جاءت من نفس الحكومة التي كانوا يقاتلون من أجلها. "لقد أمرنا بإلقائهم في الخنادق مع سكب التربة فوقهم. ربما كان بعضهم فاقد الوعي، ولم نتمكن حتى من معرفة ذلك."

تواصلت نيو لاينز مع وزارة الدفاع الصومالية للتعليق لكنها لم تتلق أي رد.

لقد غيرت أحداث عوسويني مسار الحرب لصالح حركة الشباب. فقد تخلت القوات الحكومية فجأة عن خمس بلدات منفصلة في منطقة جلجدود في غضون 48 ساعة من الهجوم الأولي على عوسويني. وقد أدت هذه التطورات إلى عكس مكاسب عام كامل في غضون أيام، مما ترك القوات الحكومية في حالة من الإحباط والفوضى.

نشرت حركة الشباب صوراً في نفس يوم هجوم عوسويني، تظهر المركبات العسكرية المضبوطة والأسلحة وجثث القوات الحكومية في القاعدة، والتي تتطابق مع رواية حرسى للأحداث.

لقد تسببت هذه المذبحة في عوسويني في عاصفة نارية للحكومة الصومالية الحالية. ودعا الرئيس السابق شريف شيخ أحمد إلى إجراء تحقيق مستقل في الهجوم وحث لجنة الدفاع في البرلمان الصومالي على بدء تحقيق في الأسباب التي أدت إلى وقوع خسائر بشرية في صفوف القوات الحكومية في عوسويني.

"بعد أحداث عوسويني، عدت إلى مقديشو مع الناجين الآخرين"، قال حرسى. كانت آثار الحرب، وخاصة ما حدث في عوسويني، باقية.

قال حرسى: "لقد وقعت في حالة من الاكتئاب وأصبحت معادياً للمجتمع، حتى بين أفراد عائلتي. كانت والدتي تحاول معرفة ما هو الخطأ معي، لكنني لم أستطع أن أخبرها بما مررت به. لا أريد أن أجعلها تبكي."

هناك مثل صومالي يقول "Dagaal wiil baa ku dhinta ee will kuma dhasho"، ويعني "في الحرب يُقتل الأبناء ولكن لا يولد أحد."

قال حرسى وهو يستنشق بعمق سيجارة مشتعلة حديثاً قبل أن ينظر إلى التراب تحت قدميه: "كان حمل السلاح أسوأ قرار اتخذته على الإطلاق. أعاني من مشاكل في النوم ليلاً. يجب أن أذكر الأدعية حتى أتمكن من العيش".

